

جوادة في ساحة الأجداد ﷺ

الشيخ الدكتور محمد ياسر القضماني

إذا ذُكر الجود في تاريخ الجود، والسماحة في تاريخ العطاء تجد واحداً من أعلامه وخواصه فيمن قبل الإسلام: هو حاتم الطائي! الذي يلحُ اسمه على الذهن حتى قالت العرب: أكرم من حاتم! بنت من بناته لها قصة مع النبي أكرم خلق الله وأسمحهم في العطاء: فما قصتها؟ وكيف هُكِّت وصَدَرَتْ؟!

ذكر محمد بن إسحاق في المغازي فقال:

أصابته خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم في سبايا طيِّ فقدمت بها على رسول الله ﷺ فجعلت في حظيرة بباب المسجد، فمرَّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فقال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال رسول الله: "الفاؤ من الله ورسوله!" ومضى حتى مرَّ ثلاثاً، قالت: فأشار إليّ رجلٌ من خلفه أن قومي فكلميه، قالت: يا رسول الله: هلك الوالد، وغاب الوافد، فأمئن عليّ من الله عليك، قال رسول الله: "قد فعلتُ، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم آذني".

فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ فقبل: علي بن أبي طالب. وقدم ركب من "بلي" فأتيت رسول الله فقلت: قدم رهط من قومي قالت: وكساني رسول الله وحملني، وأعطاني نفقة.

فخرجت حتى قدمت على أخي، فقال: ما ترين في هذا الرجل؟ فقلت: "أرى أن تلحق به".

نتلمح في كلمات هذه الموقفة التي شملها الله بعنايته فوقعت في أسر الكرم فقبلت بشباك التكريم السرمديّة التي لا تنسى في تاريخ البرية! أقول نتلمح في كلمات هذه الموقفة: حُسن التلطف في العرض على الكرام؛ فقد رُبِّيت في بيت كرم وجود! وحسن الخلق مما يؤهّل الرجال والنساء لأعلى المراتب، وسني الأحوال

...

و"خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا" كما جاء في الحديث.

لأي شيء أيضاً أهلها حسنُها، وطيب سيرتها، وجميل إقبالها على هذا الكريم ومنهجه القويم ﷺ؟
 أهلها لأن تكون داعية بحالها قبل مقالها: " أرى أن تلحقَ به " كلمات موجزة تختصر الإعجاب والحب
 والاعتزاز بهذا الدين! فالأمر لا يحتاج لتطويل كلام، ولا تردّد، ولا حيرة! هل في حال أكرم الخلق ﷺ ما
 يدعو إلى أن تدرس الأمر وتستفصل عنه الناس!؟

وكأن لسان حالها يقول: ما رأيته! لو رأيته، لما سألت عنه! كان قادراً عليّ وعلى أمثالي ومثيلاقي،
 ولكن يأبى عليه كرمه إلا أن يمتنّ، ويعلم الناس التحنن!
 أقبل عليه لن تجد أكرم منه، ولا أسمح منه!

وأقرب الخلق إلى سيد الخلق آل بيته الطيّبون الطاهرون، ومنهم عليّ رضي الله عنه، عرف أن النبي
 الكريم ﷺ لن يتركها تجرّ ذبول الخيبة، فما أنقلبت إلى أهلها وبيتها إلا بعتاء، فكان سيدنا عليّ سبباً في
 جرّ هذا العطاء.

ومن لطيف عشرته وكريم شمائله ﷺ أنه يلاحظ في عطائه ما يُناسب المعطى؛ فهذه أنثى، والأنثى تحب
 الثياب والزينة. قال تعالى: **{ أَوْمن يُنشأ في الحلية وهو في الخصام غير مُبين }** (الزخرف: ١٨)، يُنشأ في
 الحلية: في الزينة، والثياب مقصود كبير فيها: لذا كساها، وأعطاهها مركوباً وزودها بنفقة... أصول التكريم
 للضيوف، والأعلى من هذا: " لا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم آذيني "

فما نفع أن تُعطى أنثى أو تُحبي بألوان التكريم، ثم تُدفع دون كلاءة؟ فقد تهلك حين تقع في أسر ذئب
 من الذئاب!! فيا رب زدنا معرفة بأحبّ الأحباب، وأطيب الأطياب ﷺ .